نقد متن الحديث النبوي
(رؤية منظومية)

أ.د. محمود عبد الله نجيب
أستاذ الفقه المشارك بكلية الشريعة – جامعة جرش الأهلية – الأردن

❑ المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، الذي أوتي جوامع الكلم، وكانت أمته خير الأمم، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، المخلصين العاملين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد،

فإن الحديث الشريف قسيم القرآن الكريم، إذ كل واحد منهما إنما هو وحي من الله عزوجل، قال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا) (الشورى:٥٢)، وقال تعالى في حق نبيه عليه الصلاة والسلام (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) (النجم: ٣،٤)، وقال عليه الصلاة والسلام (إلا أني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله)، رواه أبو داود والدارمي وابن ماجه، وقال ابن عطيه (كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه اياها كما يعلمه القرآن) (قواعد التحديث : ٥٩) وإذا كان القرآن والحديث يتحدان في كونهما وحيا منزلاً من عند الله، إلا أنهما يفترقان، من حيث أن القرآن هو المنزل للإعجاز والتحدي به بخلاف الحديث، وإن ألفاظ القرآن مكتوبة في اللوح المحفوظ، وليس لجبريل عليه السلام، ولا للرسول عليه الصلاة والسلام أن يتصرفا فيها أصلاً، وأما الأحاديث فيحتمل أن يكون النازل على جبريل معنىً صرفاً، فأعرب الرسول بعبارة تفصح عنه (قواعد التحديث : ٥٩).

وإذا كانت الآية القرآنية هي مصدر العلم والحكم، فإن متن الحديث هو الآخر مصدر الحكم والعلم، إلا أن الآية ظلت نقية صافية بألفاظها وعباراتها لسلامة طريقها،

وتواتر سندها، وحفظ الله لها، أما متن الحديث فقد اعتراه أحياناً الضعف والوضع، وقد قيض الله لهذه الأمة رجالاً أفذاذاً، تتبعوا الأحاديث ومتونها ومازوا الباطل من الحق، وبذلوا جهوداً عظيمة في سبيل حفظ الشريعة وأصولها، بل إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أول من تولى نقد الحديث، حفظاً للدين وطلباً لسلامته من الدس والتحريف.

ولما كانت علوم الحديث جزءاً من منظومة العلوم الشرعية، التي هي في حقيقتها مجموعة من العلوم المتناسقة التي تتفاعل مع بعضها البعض، وترتبط فيما بينها بعلاقات تأثر وتأثير فقد كانت هذه الدراسة لتضع تصوراً لنقد متن الحديث، انطلاقاً من الفكر المنظومي الذي يحدد عوامل ضبط الاجزاء التي تؤلف النظام كله.

❑ الدراسات السابقة:

لقد كتب العلماء -جزاهم الله خيراً- قديماً وحديثاً في نقد متن الحديث، ووضعوا لذلك أصولاً وقواعد، إلا أن احداً منهم- في حدود اطلاعي- لم يبحث ذلك وفق الفكر المنظومي.

❑ أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

١. بيان التناسق والتداخل والترابط بين العلوم الشرعية .
٢. بيان القواعد التي يحكم بها على متن الحديث قبولاً ورداً .
٣. كشف العلل القادحة في متن الحديث .

❑ أسئلة الدراسة:

هذه الدراسة تجيب على التساؤلات الآتية :

١. ما المراد بنقد متن الحديث ؟
٢. ما هي قواعد قبول أو رد الحديث؟
٣. هل هناك ارتباط بين سند الحديث ومتنه.

❑ أهمية الدراسة:

تبدو أهمية هذه الدراسة من خلال ما يأتي :

١. ضرورة فهم الحديث النبوي في ضوء منظومة العلوم الشرعية.

٢. التأكيد على سلامة الحديث من الدس والتحريف .

٣. الحاجة إلى الاطمئنان والحكم الشرعي المستفاد من الحديث .

وقد جاءت الدراسة في أربعة مباحث:

المبحث الأول: في تعريف العلوم الشرعية وبيان أنواعها .

المبحث الثاني: في بيان أن العلوم الشرعية تشكل منظومة .

المبحث الثالث: في بيان معنى نقد متن الحديث وقواعد ذلك النقد .

المبحث الرابع: في تطبيقات ذلك وفق الفكر المنظومي .

الخاتمــــــــة: وفي أهم نتائج البحث .

والله أسأل أن يحقق هذا البحث غايته، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن كــــانت الأخرى فاسأله المغفرة، فإنه أهل ذلك والقادر عليه .

المطلب الأول

تعريف العلوم الشرعية

العلوم الشرعية : هي العلوم المدونة التي تذكر فيها الأحكام الشرعية العمليـة أو الاعتقادية وما يتعلق بها تعلقا معتدا به[١].

ويطلق على العلوم الشرعية، علوم الشريعة[٢]. والشريعة لغة : مورد الماء الـذي يستقى منه بلا رشاء [٣]. واصطلاحا : ما شرعه الله تعالى لعباده من العقائد والأحكام[٤].

وإنما سميت بذلك لأن الناس يأخذون منها حظوظهم[٥]، وتسمى العلوم الشـرعية، العلوم الدينية[٦].

والدين لغة: الجزاء[٧]، واصطلاحا: وضع إلهي يدعو اصحاب العقول إلى قبـول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم[٨]، أو هو : اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى[٩].

وتسمى العلوم الشرعية بالملة[١٠]، والملة لغة : الديانة[١١]. واصطلاحا: اسـم لمـا شرع الله تعلى لعباده بوساطة أنبيائه، ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة[١٢].

قال الجرجاني: "الدين والملة، متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشـريعة من حيث انها تطاع تسمى دينا، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها، تسمى مذهبا. وقيل الفرق بين الدين والملة والمذهب، إن الدين منسوب إلـى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسل، والمذهب إلى المجتهد"[١٣].

---

١ - كشاف اصطلاحات الفنون، ٣٠/١ .
٢ - مفتاح السعادة، ٣/٢ .
٣ - القاموس الفقهي، ١٩٣ . المعجم الوسيط، ٥٠٥.
٤ -
٥ - مفتاح السعادة، ٣/٢.
٦ - كشاف اصطلاحات الفنون، ٣٠/١.
٧ - القاموس المحيط، باب النون، فصل الدال، ص:١٠٨.
٨ - التعريفات، ١١١ .
٩ - المعجم الوسيط، ٣٣٠ .
١٠ - مفتاح السعادة، ٣/٢ .
١١ - معجم لغة الفقهاء، ٤٥٨ . مختار الصحاح، ٦٣٤ .
١٢ - المعجم الوسيط، ٩٢٥.
١٣ - التعريفات، ١١١ .

وتسمى العلوم الشرعية بالناموس[١٤]. والناموس لغة : صاحب السر المطلع على بواطن الأمور[١٥]. أو: صاحب سر الخير، والذي يطلعه دون غيره على باطن أمره[١٦]. واصطلاحاً: هو الملك النازل بالوحي، وهو جبريل عليه السلام[١٧]. والناموس جمع ناموسه: وهي البعوضة الصغيرة[١٨].

قال في مفتاح السعادة : وهي (البعوضة، تصوت في أذن الإنسان، فشبه بها صاحب السر، لتكلمه في أذن صاحبه، فيستعار له لفظ الناموس، ثم نقل إلى الملك النازل بالوحي)[١٩].

المطلب الثاني

أنواع العلوم الشرعية

العلوم الشرعية، ستة علوم هي: علم القراءات، وعلم الحديث، وعلم التفسير، وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه.

جاء في مفتاح السعادة:

اعلم أن العلوم الاعتقادية، إما متعلقة بالنقل، أو فهم المنقول، أو تقريره، أو تشييده بالدالة، واستخراج الأحكام المستنبطة.

فالنقل : إن كان بما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي، فهو علم القراءات، أو بما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة، فعلم رواية الحديث.

وفهم المنقول : إن كان من الكلام من كلام الله تعالى، فعلم تفسير القرآن، وإن كان من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، علم دراية الحديث .

والتقرير، إما الآراء، فعلم أصول الدين، أو الأفعال : فعلم أصول الفقه، واستخراج الأحكام من أدلتها، فعلم الفقه.ا.هـ ٢٠.

---

١٤ - مفتاح السعادة، ٣/٢ .

١٥ - مختار الصحاح، ٦٨٠ . مفتاح السعادة، ٣/٢ .

١٦ - القاموس المحيط، باب السين / فصل النون، ٥٢٠ .

١٧ - مختار الصحاح، ٦٨٠ . مفتاح السعادة، ٣/٢.

١٨ - المعم الوسيط، ٩٩٥ / مفتاح السعادة، ٣/٢.

١٩ - مفتاح السعادة، ٣/٢ .

٢٠ - مفتاح السعادة، ٥/٢.

وقال ابن الأثير:

وعلوم الشريعة على اختلافها، تنقسم إلى فرض ونقل، والفرض ينقسم إلى فرض عين، وفرض كفاية، ولكل واحد منها أقسام وأنواع، وبعضها أصول، وبعضها فروع، وبعضها مقدمات وبعضها تتمات.ا.هـ[٢١].

وفيما يلي بيان كل علم من هذه العلوم:

١. علم القراءات:

هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن[٢٢].

أو علم يبحث فيه عن صور نظم لكلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة[٢٣].

ومباديه : مقدمات تواترية، وله أيضا استمداد من العلوم العربية. والغرض منه: تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة. وفائدته: صون كلام الله تعالى عن التحريف والتغيير.

وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام، من حيث الاختلافات غير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة[٢٤].

وجملة فروع هذا العلم، ستة فروع هي: "علم مخارج الحروف، وعلم مخارج الألفاظ، وعلم الوقوف، وعلم علل القراءات، وعلم رسم كتابة القرآن في المصاحف، وعلم آداب كتابه المصحف"[٢٥].

٢. علم الحديث:

هو علم تعرف به أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله[٢٦].وينقسم إلى قسمين:

---

٢١ – جامع الأصول، ٣٦/١.

٢٢ – كشاف اصطلاحات الفنون، ٣٧/١.

٢٣ – مفتاح السعادة، ٦/٢١. ابجد العلوم، ٤٢٨/٢.

٢٤ – المرجع السابق .

٢٥ – مفتاح السعادة، ٣٦٩/٢ – ٣٧٢.

٢٦ – كشاف اصطلاحات، ٣٧/١.

أولهما: علم رواية الحديث:

وهو "علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلى الله عليه وسلم، من حيث أحوال رواته ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الحديث"٢٧.

وموضوعه : ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم، من حيث صحة صدورها عنه صلى الله عليه وسلم أو ضعفه، أو غير ذلك، وفي هذا الفن منفعة بينة، وغاية عظيمة، بل هو من أركان الدين.

وثانيهما : علم دراية الحديث:

وهو علم تتعرف منه أحوال الرواية، وأحكامها، وشروطها، وأصناف المرويات، واستخراج معانيها٢٨.

ومبادئه : العلوم العربية كلها، ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومعرفة الأصلين، والفقه، وغير ذلك.

وغايته : التحلي بالآداب النبوية، والتخلي عما يكرهه وينهى عنه، ومنفعته أعظم المنافع.

وجملة فروع هذا العلم، ستة عشر فرعاً هي :" علم شرح الحديث، وعلم أسباب ورود الحديث، وأزمنته وأمكنته، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه، وعلم تأويل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وعلم رموز أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وإشاراته، وعلم غرائب لغات الحديث، وعلم دفع مطاعن الحديث، وعلم تلفيق الحديث، وعلم أحوال رواة الحديث، وعلم طب النبي صلى الله عليه وسلم، وعلم المواعظ، وعلم الأدعية والأوراد، وعلم الآثار، وعلم الزهد والورع، وعلم صلاة الحاجات، وعلم المغازي"٢٩.وغاية هذا العلم الفوز بسعادة الدارين .

---

[٢٧] – مفتاح السعادة، ٢/٦٠.
[٢٨] – كشاف اصطلاحات الفنون، ١/٣٨.
[٢٩] – مفتاح السعادة، ٢/٣٧٧-٣٨٠، ٢/٥٩٥ – ٥٩٧ .

٣. علم التفسير:

عرفه الجرجاني فقال : هو توضيح معنى الآية وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة٣٠.

وعرفه الزركشي فقال: هو علم يفهم به كتاب الله، أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه٣١.

وموضوعه : كلام الله تعالى، الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة.

ومبادئه : العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه والجدل، والقراءات، وغير ذلك من العلوم. والغرض منه: معرفة معاني النظم القرآني، بقدر الطاقة البشرية، والاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية، وكل كمال ديني أو دنيوي، مختصر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

وفروع هذا العلم كثيرة، أشهرها : "علم معرفة أول ما نزل من القرآن، وعلم معرفة أسباب النزول، وعلم معرفة المكي والمدني، وعلم معرفة ما نزل منجماً وما نزل جمعاً، وعلم معرفة غريب القرآن، وعلم معرفة الوجوه والنظائر، وعلم معرفة إعراب القرآن، وعلم معرفة المحكم والمتشابه، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم معرفة مطلق القرآن ومقيده، وعلم معرفة منطوق القرآن ومفهومه، وعلم معرفة أمثال القرآن، وعلم معرفة أقسام القرآن" وغير ذلك٣٢.

٤. علم أصول الدين :

ويسمى علم العقائد، وعلم الكلام، وعلم التوحيد ٣٣. وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها٣٤.

وموضوع هذا العلم : ذات الله تعالى، إذ يبحث فيه عن عوارض الذاتية، التي هي صفاته الثبوتية والسلبية، وعن أفعاله في الدنيا كحدوث العالم، واما في الآخرة

---

[٣٠] – التعريفات، ٦٥ .
[٣١] – الاتقان، ١٧٤/٢.
[٣٢] – فتح السعادة، ٣٨٠/٢– ٥٩٥ .
[٣٣] – كشاف اصطلاحات الفنون، ٣١/١ . ابجد العلوم، ٦٨/٢ .
[٣٤] – مفتاح السعادة، ١٥٠/٢ . الموسوعة الفقهية، ٦٠/٥ .

كالحشر وعن أحكامه فينها، كبعث الرسل في الدنيا، والثواب والعقاب في الآخرة. ومبادئه : العلوم الشرعية بأسرها، وكذلك العلوم المنطقية.

وفائدته : الترقي من حضيض التقليد، إلى ذروة الايقان، وإرشاد المسترشدين بايضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الدين، عن أن يزلزلها شبه المبطلين، وأن تبتنى عليه العلوم الشرعية، فإنه أساسها، وإليه يؤول أخذها واقتباسها، فإنه ما لم يثبت وجود صائغ، عالم، قادر، مكلف، مرسل للرسل، منزل للكتب، لم يتصور علم التفسير ولا علم فقه، فكلها متوقفة على علم الكلام، مقتبسة منه، فالأخذ فيها بدونه، كبانٍ على غير أساس، وغاية هذا العلم، الفوز بالسعادة الأبدية والسيادة السرمدية.

٥. علم أصول الفقه :

هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الإجمالية اليقينية٣٥. وموضوعه : الأدلة الشرعية الكلية، من حيث أنها كيف تستنبط منها الأحكام الشرعية. ومبادئه : مأخوذة من العربية وبعض العلوم الشرعية كعلم الكلام والتفسير والحديث وبعض العلوم العقلية.

وفائدته : استنباط الحكام الشرعية على وجه الصحة . والغرض منه : تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الشرعية الأربعة وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس.

وجملة فروع هذا العلم أربعة هي : علم النظر، وعلم المناظرة، وعلم الجدل، وعلم الخلاف٣٦ .

٦. علم الفقه:

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية٣٧ . ومبادئه : مسائل أصول الفقه، وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية . وموضوعه : أفعال المكلفين، فيبحث فيه عما يعرض لأفعالهم من حل ورحمة ووجوب وندب

---

٣٥ - أبجد العلوم، ٢/ ٧٠ . الموسوعة الفقهية، ٥/٦١ .
٣٦ - مفتاح السعادة، ٢/ ٥٩٨ - ٥٩٩ .
٣٧ - الموسوعة الفقهية، ٣٢ / ١٩٣ ز ومفتاح السعادة، ٢/ ١٩٤ .

وكراهة . وغرضه : تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية، والنجاة من عذاب النار، ونيل الثواب في الجنة، وشرفه لا يخفى لكونه من العلوم الدينية.

وجملة فروع هذا العلم خمسة فروع هي : علم الفرائض، علم الشروط والسجلات، وعلم القضاء، وعلم معرفة أحكام الشرائع، وعلم الفتاوى[٣٨].

المبحث الثاني
العلوم الشرعية تشكل منظومة

المطلب الأول : تعريف المنظومة

هي الكل المركب من مجموعة الكيانات أو المكونات التي تربطها ببعضها البعض علاقات تبادلية شبكية تعمل معاً على تحقيق أهداف محددة، وهي – أي المنظومة– تقع ضمن حدود معينة داخل بيئة تحيط بها، وهي تؤثر وتتأثر عادة بعوامل هذه البيئة وتمثل دينامية عملها بنموذج النظم الأساسي، الذي يتكون من المدخلات والعمليات والمخرجات، ويمكن ضبط عمل المنظومة عن طريق عملية التغذية الراجعة[٣٩] .

أو : هي مجموعة من العناصر المتداخلة والمترابطة والمتكاملة، ولكل عنصر وظيفة، وتتفاعل العناصر مع بعضها، بحيث تؤثر كل منها في الآخر من أجل أداء وظائف، تكون محصلتها النهائية، تحقيق الناتج الذي يراد تحقيقه من خلال هذا النظام. ويتصف النظام بأنه ليس مجموعة من العناصر الثابتة، ولكنه يتبع استراتيجية عامة، تتغير وفقاً لطبيعة الأهداف التي يريد أن يحققها النظام، والظروف البيئية التي يطبق فيها، وللنظام مدخلات ومخرجات وبيئة يؤثر فيها ويتأثر بها[٤٠].

---

[٣٨] – مفتاح السعادة، ٢/ ٦٠٠ – ٦٠٤ .

[٣٩] – تصميم التدريس، ١/ ٢٤ .

[٤٠] – تفريد التعليم، ٥٩ .

المطلب الثاني : سمات المنظومة

لكل منظومة سمات تتمثل فيما يأتي ٤١:

١- الغرضية : أي أن لكل منظومة أهدافا محددة، تعمل على تحقيقها، وهذه الأهداف هي التي تحدد تركيب منظومة ما .

٢- الكل مركب : أي أن المنظومة كل مركب من تجمع من الكيانات أو العناصر، التي توجد علاقات بينها تداخل وتبادل بعضها مع بعض، وبينها وبين المنظومة ككل، وتعتمد هذه الكيانات أو العناصر بعضها على بعض في تحقيق أهداف النظام .

٣- الخصائص المعينة : أي أن للمنظومة حدودا تحيط بالمكونات والوظائف وتقصيها عن غيرها، وتحفظ هويتها .

٤- البيئة المحيطة : أي أن للمنظومة بيئة تحيط بها وتقع خارج حدودها، وهذه البيئة تؤثر بها وتتأثر بها .

٥- الدينامية العملية : ويراد بها التفاعل الذي يجري بين أفراد وعناصر المنظومة وما يؤثر في هذا التفاعل وما ينتج عنه .

٦- العلاقة الرابطة : ويراد بها العلاقة التي تربط بين افراد النظام وهي إما علاقة هرمية أو علاقة تواصلية .

المطلب الثالث : هل العلوم الشرعية منظومة

إذا نظرنا إلى العلوم الشرعية وجدنا أن لها سمات المنظومة، وذلك لما يأتي:

- ❑ **أولا : من حيث الغرضية:**

فإن للعلوم الشرعية أهدافا جمة منها:

١. تعبيد الناس جميعا لرب العالمين، من حيث بيان العقيدة المبنية على التوحيد، ثم أهمية هذه العقيدة كقاعدة للعبادات والمعاملات وسائر الأحكام .

[41] - تصميم التدريس، ١/ ١٠ وما بعدها باختصار .

٢. بيان شمولية الإسلام لكل آفاق الحياة، الروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية والثقافية والتربوية والنفسية.
٣. تنقية الإسلام من الخرافات والبدع، وطرح الآراء الفاسدة والأهواء الضالة، والبعد به عن المذهبية الضيقة، والطائفية البغيضة، والعصبية الجاهلية.
٤. هداية الضالين والحائرين، وإرشاد التائهين والضائعين إلى سبيل الأقوم، والطريق الحق الموصل إلى السعادة الدنيوية بحفظ المهج والأموال وانتظام سائر الأحوال، والراحة الأخروية بالنجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم.
٥. تحفيز الناس للتفكير في آيات الله، لاستكشاف بديع صنعه، وعظمه تكوينه، ودقة خلقه، وروعة تقديره، مما يزيد المؤمن ايماناً، بل ويرد الجاحد إلى عقله وصوابه.
٦. إرشاد العباد إلى كيفية النظر والاجتهاد، لبذل الجهد والسعة في استنباط الأحكام الشرعية لما يستجد من مسائل وواقعات، ولما يقع من حوادث ومعضلات، وذلك بالبناء على ما تقرر من قواعد ومبادئ ثبتت وتأصلت.

❑ **ثانيا : من حيث الكل المركب :**

فإن العلوم الشرعية كل مركب من عدة علوم بينها ترابط وتشابك، وكل علم من هذه العلوم يتكون من عدة علوم فرعية بينها تفاعل وتلاق، وهذا الترابط بين العلوم الشرعية لا يأتي من قبيل المصادفة أو العشوائية، ولكنه يتم وفق قواعد محددة، وقد بينا عند الحديث عن أنواع العلوم الشرعية وأقسامها أن مبادئ كل علم منها إنما يرتبط ويتصل بالعلوم الأخرى.

وللتدليل على ذلك، أذكر آية من آيات الأحكام، يظهر من تفسيرها، تلك العلاقة الشبكية بين العلوم الشرعية.

قال تعالى (والمطلق يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) (البقرة، ٢٢٨)، في هذه الآية الكريمة الإضاءات الآتية :

الإضاءة الأولى (أصولية):

(والمطلقات يتربصن) خبر بمعنى الأمر، كقوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن) (انظر فتح العقار بشرح المنار، ٢٨/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١١٢/٣).

الإضاءة الثانية (أصولية):

إن لفظ القرء، لفظ مشترك بين الحيض والطهر، فذهب أهل الكوفة إلى أنه الحيض، وذهب أهل الحجاز إلى أنه الطهر. (انظر الفقه الإسلامي وأدلته، ٧/٦٣١ – ٦٣٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣/ ١١٣).

الإضاءة الثالثة (أصولية):

إن هذه الآية عامة، وهي مخصصة بالمطلقة قبل الدخول إذ لا عدة عليها، وبالمطلقة الحامل إذ عدتها وضع الحمل، وبالمطلقة الصغيرة التي لم تحض وبالكبيرة التي يئست، إذ عدتهن بالأشهر (انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣/١١٢).

الإضاءة الرابعة (حديثية):

عن ابن عمر قوله (عدة الحرة ثلاث حيض، وعدة الأمة حيضتان) (أخرجه مالك في الموطأ والشافعي).

الإضاءة الخامسة (عقدية):

إن العدة قد تكون لاستبراء الرحم أو للتفجع على الزوج أو تعبدية وإذا كانت تعبدية فإن ذلك من توحيد الألوهية (انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ١٩–٢٠).

وبهذا يظهر لنا أن هناك تشابكاً بين الأصول والفقه والعقيدة والحديث والتفسير.

- **ثالثا : من حيث الخصائص المعينة:**

أو الحدود المحيطة بالمكونات والوظائف، فإن للعلوم الشرعية حدودا تفصلها عن غيرها، فالعلوم الشرعية تختلف عن العلوم الطبيعية والتطبيقية، إذ طريق العلوم الشرعية إنما هو التلقي والأخبار، أم العلوم التطبيقية فطريقها البحث والاستنتاج، كما أن العلوم الشرعية تختلف عن العلوم العقلية، إذ العلوم الشرعية مبناها على النقل، وأما العلوم العقلية فمبناها على الحجج المنطقية .

- **رابعا : من حيث البيئة:**

فلا شك أن العلوم الشرعية تؤثر بالبيئة المحيطة بها وهي المجتمع بكل أشخاصه ومؤسساته كما أنها تتأثر بالمجتمع أيضا، ولذلك فإن منظومة العلوم الشرعية تعد من المنظومات المفتوحة وفق الفكر المنظومي، ولعل الحديث النبوي التالي يبين مدى تأثر

العلوم الشرعية بالمجتمع المحيط، فقد روى أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أن لكل شيء اقبالا وإدبارا، وأن من إقبال هذا الدين، ما كنتم عليه من العمى والجهالة، وما بعثني الله به، وأن من إقبال هذا الدين، أن تفقه القبيلة بأسرها، حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق أو الفاسقان، فهما مقهوران ذليلان، أن تكلما قمعا وقهرا واضطهدا، وإن من أدبار هذا الدين، إن تجفو القبيلة بأسرها، حتى لا يرى فيها إلا الفقيه أو الفقيهان، فهما مقهوران ذليلان، أن تكلما فأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، قمعا وقهرا واضهدا، فهما مقهوران ذليلان، لا يجدان على ذلك أعوانا ولا أنصارا) رواه الطبراني .

❑ خامسا : من حيث دينامية العمل:

فإن العلوم الشرعية حين تكون منهج حكم، ونظام حياة، يتفاعل معها أشخاص المجتمع، فإنها تثمر أمنا وطمأنينة للناس، وهداية للبشرية، وقادة يسوسون الخلق بالعدل والحق.

❑ سادسا: من حيث العلاقة الرابطة:

فإن العلاقة الرابطة بين مكونات العلوم الشرعية هي علاقة تواصل حيث يتم بينها تبادل المدخلات والمخرجات، إذ كل واحد منها يأخذ من الآخر ويعطي غيره، وقد أشرنا إلى ذلك عند الحديث عن العلوم الشرعية وعليه فإن العلوم الشرعية تشكل منظومة مفتوحة ككل المنظومات الاجتماعية .

المبحث الثالث

في بيان معنى نقد متن الحديث وقواعد ذلك

❑ **تعريف المتن:**

المتن لغة : ما صلب من الأرض وارتفع وانقاد٤٢ .

جاء في لسان العرب : المتن من كل شيء ما صلب ظهره ، ومتن كل شيء ما ظهر منه ، وما ارتفع وصلب من الأرض٤٣.

❑ **المين اصطلاحا:**

هو ألفاظ الحديث التي تتقوم بها معاينه ٤٤.أو ما انتهى إليه السند من الكلام٤٥.

❑ **تعريف النقد :**

للنقد في اللغة معان عدة منها ٤٦:

١- **النقد** : خلاق النسيئة ، يقال نقده الدراهم أي أعطاه إياها .

٢- **النقد** : تمييز الدراهم وغيرها ، لإخراج الزيف منها ، ليميز الجيد من الرديء ، ومنه نقد النثر ونقد الشعر: أي اظهر ما فيهما من عيب أو حسن .

٣- **النقد** : النقر بالإصبع كما تنقر الجوزة.

٤- **النقد** : اختلاس النظر إلى الشيء ، تقول العرب : ما زال فلان ينقد الشيء، إذا لم يزل ينظر إليه .

❑ **النقد اصطلاحا:**

عرفه بعضهم : بأنه تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ، والحكم على الرواة توثيقا وتجريحا ٤٧. وانتقد هذا التعريف بأنه أقرب إلى علم الجرح والتعديل أو التصحيح أو التضعيف ، وإن كان لكل هذه العلوم اتصال وثيق ، إلا أن البعض يرى

---

[٤٢] - معجم مقاييس اللغة ، ٢٦٤/٥ .
[٤٣] - لسان العرب ، مادة متن .
[٤٤] - أصول الحديث ، ٣٢ .
[٤٥] - منهج النقد في علوم الحديث ، ٣٢١ .
[٤٦] - القاموس المحيط – باب الراء ، فصل النون ، مختار الصحاح مادة ، معجم مقاييس اللغة ، ٤٦٨/٥ ، المعجم الوسيط ، ٩٨٤/٢.
[٤٧] - التمييز ، ٥ .

أن نقد متن الحديث أقرب إلى ما يسمى بعلم العلل عند المحدثين ، لأن المعنى اللغوي للنقد ، يدل على إدامة النظر والتنقير والتمييز .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لأن أعرف علة حديث هو عندي أحب إلي من أن أكتب حديثا ليس عندي[٤٨].

❑ تعريف الحديث :

الحديث لغة : كل ما يتحدث من كلام وخبر[٤٩]. أو هو الجديد من الأشياء. واصطلاحا: ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله أو فعله أو تقريره[٥٠].

❑ قواعد نقد متن الحديث :

وضع العلماء شروطا دقيقة لقبول الحديث ، تشمل المتن والسند ، فالعلة والشذوذ قادحان في صحة الحديث ، وكما يقعان في المتن يمكن أن يقعا في السند، ومن القواعد التي وضعها العلماء لنقد متن الحديث ، ما يأتي :

١- المخالفة الصريحة للقرآن الكريم.
٢- المخالفة الصريحة لما هو صحيح ثابت من الحديث النبوي.
٣- المخالفة الصريحة للعقل والحس.
٤- المخالفة الصريحة للحقائق التاريخية.
٥- كون الحديث مما لا يشبه كلام النبوة.

هذا ما ذكره العلماء بوجه عام ، ولكن لما كان هذا البحث يتناول المسألة من منظور منظومي ، فإن القاعدة التي نصفها لنقد متن الحديث تتلخص فيما يأتي:

١- إن العلوم الشرعية التي سبق ذكرها إنما تمثل منظومة متناسقة متداخلة مترابطة متشابكة .
٢- إن الحديث عنصر وكيان في هذه المنظومة ولذا فإن أي متن فيه يخالف العناصر الأخرى ويتناقض معها ، لا بد أن يكون محل نظر ، بغض النظر عن حكم العلماء عليه بالصحة أو الحسن أو الضعف ، وعليه فإن متن الحديث لا يجوز أن يخالف ويناقض العلوم الشرعية الستة الذي ذكرناها وهي : القراءات ، أو

[٤٨] - علل الحديث ، ٩ .
[٤٩] - المعجم الوسيط ، ١٨١ .
[٥٠] - أصول الحديث ، ٢٧ .

التفسير، أو الحديث الثابت أو علم العقيدة أو الفقه أو أصول الفقه ، لأن متن الحديث إذا خالفها فقد عطل عمل المنظومة وأضر بالعلاقة بين عناصرها وكياناتها.

المبحث الرابع

تطبيقات ذلك وفق الفكر المنظومي

أعرض فيه نماذج وأمثلة تطبيقية على الحكم على متن الحديث وفق المنظومية.

- **أولا: المخالفة الصريحة للقرآن الكريم:**

ونريد بذلك أن يكون النصان لا يحتملان التأويل ، فإذا كان النصان أحدهما أو كلاهما يحتمل التأويل . فإنه يجمع بينهما ولا يرد الحديث:

مثال ذلك:

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : (لا يدخل الجنة ولد زينة) رواه أحمد، وابن حيان ، والطحاوي في مشكل الآثار فهذا الحديث يخالف مخالفة صريحة قوله تعالى (ولا تزروا وازرة وزر أخرى) إذ ما هو ذنب ابن الزنا حتى لا يدخل الجنة؟ ، لأن الذنب ذنب غيره ، والله لا يظلم أحدا مثقال ذرة ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه.

فقد ردت عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت : لا والله ، ما حدث رسول صلى الله عليه وسلم : إن الله يعذب ببكاء أحد ، ولكن قال : إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله) قالت عائشة : حسبكم القرآن : ولا تزر وازرة وزر أخرى) .

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما (لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى عليه وسلم قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى عليه وسلم : قوموا ، قال عبيد الله ، فكان يقول ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ، صلى الله

عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم) رواه البخاري في مواضع عدة ، في كتاب العلم والجهاد والجزية والمغازي والمرضى والاعتصام.

قلت (الباحث): إن هذا الحديث مشكل من عدة وجوه :

أولها : أن في بعض الروايات قولهم : اهجر؟ والهجر هو الهذيان ، والمراد به ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته ، ووقوع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم مستحيل لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى) .

ثانيها : أن قول عمر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع بحيث لا يدري ما يقول ، لا يستقيم وأدب عمر رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القائل (لأنت أحب إلى من نفسي).

ثالثها : ان اختلافهم ورفضهم لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفاً لصريح قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

رابعها: أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد ذلك أياماً ولم يثبت عنه أنه عاود طلب الكتابة ، وإذا كان عليه الصلاة والسلام حريصاً على أمته كي لا تختلف بعده كما جاء في الحديث ، فلماذا ترك الكتابة مع قدرته عليها.

خامسا: إن كل الأجوبة التي أجاب بها العلماء عن هذا الحديث إنما هي احتمالات ، وكلامه عليه الصلاة والسلام صريح واضح لا حاجة فيه إلى الاحتمالات ، وما زال الشيعة يتخذونه حجة على أهل السنة في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يوصي أو يبين الإمام بعده ولكن عمر والصحابة رضوان الله عليم منعوه من ذلك.

لذلك كله نقول أن في النفس شيئاً من هذا الحديث الذي لا يستقيم أمر متنه مع صريح القرآن والسنة وواقع حال الصحابة والله أعلم .

☐ ثانيا : المخالفة الصريحة للأحاديث الصحيحة :

مثال ذلك:

١- عن أنس بن مالك قال : قيل يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ؟ قالوا : يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ ، قال : الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم) رواه ابن ماجه. فهذا الحديث يخالف أحاديث كثيرة أصح منه ، تأمر المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يخاف في الله لومة لائم.

٢- حديث أبي ذر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إذا قام أحدكم ، فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل آخرة الرحل ، فإذا لم يكن بين يديه مثل آخرة الرحل ، فإنه يقطع صلاته ، الحمار والمرأة والكلب الأسود) رواه مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم. فهذا الحديث مخالف لحديث علي رضي الله عنه ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح من الليل وعائشة معترضة بينه وبين القبلة ، حتى ان عائشة قالت: لقد شبهتمونا بالكلب والحمار .

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ثلاث أعطنيهن قال : نعم ، قال : عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها ؟ قال: نعم - رواه مسلم.

الحديث وفيه أن طلب أن يجعل معاوية كاتبا بين يديه ، وأن يأمره حتى يقاتل الكفار ، وهذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال ، ووجه الإشكال أن أبا سفيان إنما أسلم يوم الفتح سنة ثمان للهجرة وهذا مشهور لا خلاف فيه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمن طويل ، ويرى ابن حزم أن هذا الحديث وهم من الرواة ، وقد حاول بعض العلماء الإجابة على ذلك بأن أبا سفيان رأى في زواج ابنته بغير رضاه غضاضة فظن أن إسلامه يقتضي تجديد العقد ولكن هذا بعيد ، لأنه لو كان كذلك لقال لما سأله التجديد : إن مقصودك يحصل ولا غضاضة في ذلك ، أو هذا لا يقتضي تجديد العقد ولما أجابه بكلمة نعم.

☐ ثالثا : المخالفة الصريحة للحقائق التاريخية والسيرة النبوية:

مثال ذلك:

١- حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء ، قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلها قط ، وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا لئلا يروها وبعض يستأخرون فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم ، فأنزل الله (ولكن علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين). رواه أحمد والترمذي والنسائي ومسلم .

قلت (الباحث):

أولا : إن هذه الآية من سورة الحجر وهي مكية ، والمسلمون في مكة ما كانوا يصلون جماعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن قريشا كانت تمنعهم وتصدهم وتبطش بهم .

ثانيا : إن سورة الحجر مكية والمتأمل في آياتها يدرك أن هذه الآية ليست مدنية أو خارجة عن نظم المكي من القرآن الذي يتحدث عن الإيمان والخلق والثواب والعقاب والآية لا يزيد معناها عن أن الله عزوجل يعلم كل من هلك من لدن آدم عليه السلام والمستأخرين من هو حي إلى يوم القيامة. والعجب كل العجب ممن ذهب إلى تصحيح هذا الحديث ، دون النظر إلى حقائق السيرة ووقائع التاريخ كما فعل الشيخ الألباني حيث ذهب إلى تصحيحه.

٢- عن علي رضي الله عنه قال : عبدت الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة - رواه الحاكم في المستدرك .

هذه الرواية تخالف ما ثبت في السيرة النبوية من أنه بعد أن أوحي الله إليه بادر إلى الإيمان به خديجة وأبو بكر وبلال وزيد بن حارثه وذلك كله في وقت متقارب.

٣- أظهر بعض اليهود كتابا في زمن الخطيب البغدادي وأدعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادات بعض الصحابة، فعرض على الخطيب البغدادي ، فنظر فيه وسرعان ما قال : إنه مزور ، دون البحث عن اسناده ، ولما سئل عن ذلك قال :

أولا : فيه شهادة سعد بن معاذ ، وهذا مستحيل لأن سعدا توفي عقيب غزوة الخندق سنة سبع للهجرة فكيف حضر في خيبر وشهد على الكتاب ؟

ثانيا : فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ، وإسلامه كان يوم الفتح سنة ثمان للهجرة بعد خيبر فكيف غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه ؟

❑ رابعا : المخالفة الصريحة لعلم أصول الفقه:

مثال ذلك المخالفة للإجماع :

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت : دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال : أو غير ذلك يا عائشة ، إن

الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلا ، خلقهم وهم في أصلاب آبائهم) رواه مسلم .

وقد انتقد هذا الحديث الإمام أحمد وقال غير مرة : وأحد يشك أنهم في الجنة ، هو يرجى لأبيه فكيف يشك فيه ؟ إنما اختلفوا في أطفال المشركين ، وظاهر كلام الإمام أحمد رحمه الله أنه نقد متن الحديث بسبب مخالفته للإجماع ، بقرينة قوله : إنما اختلفوا في أطفال المشركين ، ومفهوم هذا أن أطفال المسلمين لم يختلف فيهم وقد حكى النووي الإجماع على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة .

ومثال ذلك المخالفة لعمل أهل المدينة ومن هذا القبيل فعل الإمام مالك بحديث خيار المجلس مع انه رواه في الموطأ ذلك أن القول بخيار المجلس مخالف لعمل أهل المدينة وهو عند المالكية مقدم على خبر الواحد ، ذلك أن تكرر البيع عندهم مع الأنفاس ، فعدم المجلس بين أظهرهم يدل على عدم مشروعيته دلالة قاطعة ، والقطع مقدم على الظن .

- ❑ **خامسا : المخالفة لقواعد الفقه العامة:**

مثال ذلك:

ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تصروا الإبل والغنم، فمن اتباعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحتلبها إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاع تمر) رواه البخاري ومسلم . فهذا الحديث لم يأخذ به بعض العلماء لأنه مخالف للقياس الثابت بالكتاب والسنة والإجماع من أن ضمان العدوان بالمثل أو القيمة والتمر ليس منها ، ولأنه مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام -الخراج بالضمان- ، وقد قال الصاوي في حاشيته على الشرح الصغير (واعلم أن رد المشتري للصاع أمر تعبدي أمرنا به الشارع ولا نعقل له معنى).

- ❑ **أهم نتائج الدراسة:**

١- إن الحديث الشريف في حجيته كالقرآن الكريم ، والكفر به ورده جزافا ردة عن الإسلام ولذلك فإنه يجب الاعتناء به رواية ودراية ، والذب عنه ، ورد الهجمة الكافرة عنه ، حتى لا يتسلل إليه الدس والتحريف .

٢- إن موضوع علم الحديث دراية ما زال بحاجة إلى تمحيص وتدقيق ، وبخاصة مع وجود متون مكذوبة مركبة على أسانيد صحيحه ، ووجود من ينكرون المتون الصحيحة بالدعاوى الباطلة والكاذبة .

٣- إن رد الحديث دراية مع كون السند صحيحا أمر مشروع ، قام به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ، لكن ذلك لا يجوز أن يترك لأعداء الإسلام من المستشرقين أو لذوي الأهواء أو الجهلة أو إنصاف المتعلمين ، قال أبو غده (ومما ينبغي التنبيه عليه : ان سبر المتن لا ينهض به إلا العلماء الفحول الكبار ، الجامعون للعلم رواية ودراية وفقها وتاريخا ونقدا وبصيرة) .

٤- إن كون الحديث صحيحا سندا لا يعني بحال أن المتن صحيح ، فقد يكون السند صحيحا والمتن غير صحيح ، وقد يكون المتن صحيحا والسند غير صحيح ، وهذا لا يحيط به إلا جهابذة العلماء .

٥- إن دراسة متن الحديث وفق منظومة العلوم الشرعية ميزان دقيق ، ومقياس صحيح للحكم على متن الحديث قبولا أو ردا ، والله أعلم.